

تعيش أنت

مجموعة قصصية

محمد رمضان الجبور

(الصور بالكرتج)



دار الفكر للطباعة والنشر

2007

دار الفكر للطباعة والنشر

تعيش أنت

مجموعة قصصية

الإهداء
إلى الذين أحبهم
إليها
إليه
إليهم جميعا .

محمد رمضان الجبور (الصور باهري)

أحلام أمي

أحلام أمي

لم تكن الأحلام تشكل لي هاجسا أو أدنى أهمية في حياتي قبل أن تبدأ (قصة أحلام أمي) ، بل كثيرا ما كنت أحلم أحلاما كثيرة ، تضيع من ذاكرتي المنقوبة حالما أفتح عينيّ مستيقظا من نوم طويل ، قد تحتفظ ذاكرتي بأجزاء مبعثرة من حلم ما ، فأجمع ما استطعت من المشاهد المتناثرة والمبعثرة لأصنع حلما أقصه على من أراد أن يسمعني

....

كلنا نحلم ، ومن منا لم يستيقظ في يومٍ ما على حلمٍ أو كابوس قضُّ مضاجع نومه .

أن تحلم ليست مشكلة المشكلة حينما يبدو لك الحلم حقيقة ، أن تعيش الحلم وكأنه واقع وأي واقع ؛ واقع مرير ، ليست أشياء تُفرح ، ومتى كان الفرخُ شيئا من أحلامنا .

في البداية كان الأمر عاديا ، هكذا حسبته ، فكل الذين
أدمنوا على رؤية الأحلام يحاولون بل يصرون على رواية
أحلامهم وقصها على مسامع الآخرين .

وفي الآونة الأخيرة أصبح لأمي عادةً جديدةً لم نألفها من
قبل ، فبعد أن تستيقظ الدار ، ويحدّثُ كلّ منا الآخر ، سواء
برد التحية ، أو بما يناسب ساعات الصباح الأولى ، تناديننا
أمي ، ونجلسُ بجانبها وأمامها وبعد مقدمات ليست بالطويلة
، تدخل بنا إلى حلم من أحلامها ، ففي إحدى المرات تحدثنا
بأنها شاهدتُ كلبا أسود ، أسود بلون ليالينا ، وقد هجم عليها
وهي نائمة وسحب عنها الغطاء ، وإن الخوف يسيطر عليها

ونطمئننها بأنها مجرد أضغاث أحلام ليس إلا ، وتكون
المفاجأة بعد ساعات قليلة ، ويأتي الهاتف من بعيد يحدثنا
بأن جدنا لأمنا قد وافاه الأجل ، وتبكي أمي ...تبكي
بكاء مرا ، ويلفنا الحزن جميعا ، وتؤكد أمي بعد أن تهدأ
الأمر بأن أحلامها حقيقة لا خيال وترتجف قلوبنا من
أحلام أمي القادمة ، ونتمنى في داخلنا ألا تحلم .

لم تعد الصباحات كما كانت بالأمس بل أصبحت هما ثقيلًا ،
عنبًا أضيف إلى الأعباء التي نحملها ، نعيش لحظات
الصباح ونحن نضع الأكف على القلوب ، وندعو الله ألا
تحلم أُمي . وتعود أرواحنا لنا بعد أن تمر ساعات الصباح
الأولى دون أن تتادينا أُمي لتقص علينا حلما جديدا
وتمر الأيام دون أن تتادينا ، حتى يخيل لنا أن أُمي لن تحلم
من جديد ، ثم ما تلبث أن تتادينا ، ونجلس والخوف يأكل
قلوبنا ، وتتكلم أُمي وتحدثنا بحلمها الجديد ، وكأنها تراه
أمامها ، وتقول أنها فقدت في الليلة الماضية عينيها ، ليست
عينا واحدة بل الاثنتين معا . وتشاء الظروف وتقع الأقدار
من حيث لا ندري ، ويموت أخ لنا بحادث سيارة ...
ويسري الحزن في كل مكان من جسد العائلة ، ويتحول بيتنا
إلى غيمة حزن لا ترحل ولا تزول ، وما هي إلا أيام
قلائل ويلحق بأخي ابن خالة لنا عزيز علينا، وتضيق الدنيا
بنا من أحلام أُمي ، ونتمنى لو تكف أُمي عن أحلامها ،
وتخرجنا من هذا الضيق الذي نحن فيه .

واستيقظ في يوم وأنا أرتعد خوفا وهلعا ، وأفتح عيني وأنا
أبسمل وأتعوذ من الشيطان الرجيم ، فقد أصابني ما أصاب
أُمي ، فقد حلمت الليلة بأن أحدى أسناني قد سقطت ، وكنت

أعلم من قبل أن سقوط إحدى الأسنان أمر سيئ ، نهضت من فراشي أبحث عن أمي ، أريد أن أقص عليها ما رأيت ، كانت ما زالت نائمة في فراشها ، نزع الغطاء عن رأسها بلطف شديد ، ونظرت إليها وأنا أناديها بصوت منخفض خوفا من أن أزعجها ، ناديت عليها ... أمي ... أمي ... ولكنها لم ترد ، اقتربت منها أكثر فأكثر وارتميت عليها فقد علمت أنها لن تحلم بعد اليوم .

انتهت

الرصيفة / 2004

مزممار كفيف وعزف متواصل

مزمار كيف وعزف متواصل

صخرة صلبة صماء تقتعدها أمام كهفك المهجور ، تنتوقع
على نفسك ، وتتصلب فيك كل الأجزاء التي كانت قبل اليوم
تتحرك ، تبحر عيناك في صحراء نفسك ، ثم ما تلبث أن
تُخرج مزمارك الذي ورثته عن ابيك وتبدأ بالعزف ،
تنتشي روحك وتفرح وأنت تلاعب أصابعك فوق الثقوب
الكثيرة ، المنتشرة على طول مزمارك الجميل ، تسكر في
نوبةٍ من العزف المتواصل و يخيل إليك أو يعتقد عقلك
السخيف ، بأن عزفك قد أطرب جنوب أفر يقيا ، و حرر
العبيد ، و أطلق السجناء ، واستل أرواح المتخاذلين ، و
و قتل البغايا و الزناة في كهوفهم أنهى الحروب
الحمراء .

تكبر ، تصبح . . . عيناك تتعلقان بالسماء ، و هي تكبر
بحجم الخوف الذي في نفسك ، و أنت مكبل بالقيود ، يدفعك
جندي أجرب برأس حربة حاقدة إلى داخل قبو مظلم .
تصمت و تنظر إلى السماء مرة اخرى و هي عابسة
. . . غاضبة . تتمنى لو تسقط عليك قطرة ماء .. تعزف

تعزف حتى تتدلى شفتاك و يتصلب لسانك ، و يحمر وجهك
و يتناثر شعرك ، و السماء لم تمطر بعد .

تعود تجر أقدام خيبتك إلى كهفك المعتم الموحش و تنتظر
غيمة جديدة تحمل المطر .

تحاول النوم ، تغمض جفنيك ، تأمر نفسك التافهة بالحلم ،
فليس لأمثالك إلا الأحلام و لكن عليك ألا تبالغ ، فليس من
أو الأثرياء أو تضاجع ...حقك أن تحلم أحلام الأحرار
، احلم ما شئت ، تخيل ما ... امرأة ليست من طبقتك أو
تريد ، ولكن إياك أن تتعدى هذا الخط .

، أطول من عمرك التعس ... طويل ... خط اسود طويل
لك أن تحلم بقطيع من الغيوم الهاربة ، تقف فوق ...
كهفك الأنيق الهرم . أو تناجي نفسا أحرقتها الشوق إلى
قطرة المطر .

... آه ... آه

سواء دنيانا جافة ، نسيتهنا محاربتنا ، فازدادت بياسا ، و
حجارتنا أصبحت هشّة ، طرية ، طحلبية خضراء و نارنا
...أمست بردا و سلاما

... آه ... آه

البرد يقص رؤوس أصابع قدميك ، تتكور ككرة ...برد
صنعت من قماش رديء ، تتلفع بالبوُس ، يحاصرك غراب
مجنون ، يقف منتصباً متحدياً ، ينقر جمجمتك المهترئة كلما
حاولت النوم .

لو ينزل المطر آه ... آه

... صدى ... جبال سأم تحط فوق صدرك الخرب ، صدى
صدى صوتك يتردد في جوف أنثى كرهت الدنيا ، زممارك
أصابه الخوف والصدأ فتوقف عن العزف في زمن مرّ ،
من ... الآن أنت بحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى
يقودك الى درب فيه ذرة نور كي ترى نفسك .

زممارك توقف حتى عن الأنين . . . آه ... آه

تحتاج إلى غيمة تقودك إلى ارض أخرى - هل جربت السفر
على غيمة - تحتاج إلى غراب ، و لكن ليس هذا الغراب ،
ربما كان كالغراب الذي علّم قابيل كيف يوارى سوءة أخيه

لم تبق لنا ... مطر ... مطر ... آه منك يا سياب ، مطر
مطرا ، أمطارك أغرقت الخليج ، لكنها عجزت عن ان
تسقي بذرة قمح واحدة .

لو ينزل المطر آه ... آه

ما أسخفك أيها المزمар وقد أصابك الخرس في زمن علا
فيه الضجيج ، ها قد أصبحت قطعة نزين بها أكواخنا
الرائعة ، حلمت اكثر من مرة بانك مكسور و لكني لم
أحلم مرة واحدة بأنك قد توقفت عن الكلام .
تشنق رغبتك بالعزف المرة بعد الأخرى .

هكذا قال لي .. و لكن لا بد من العزف كي ينزل المطر
أبي . تعاود العزف ، و تحلم بقطرة صغيرة تقع على أرنية
أنفك فتحيي بك الإحساس أو تخلعك من حلمك القاتم الطويل
. تحاول العزف و تمضغ هزائمك ، تجتر الأيام المرة
... العالقة في سقف حلقك الصدى

وسماء لا تريد أن تمطر و غراب ... تتعلقان بمزمار

انتهت

زوبعة في جامعة "ص"

زوبعة في جامعة "ص"

كاميرات المراسلين الصحافيين تتخذ وضعها لرصد الحدث في جامعة "ص" ، هدوء مشوب بالحذر يملأ ساحات الجامعة ، يافطات بيضاء علقت في أماكن كثيرة من جامعة "ص" ، كلها تشجب وتطالب بحذف مادة الفلسفة من المتطلبات الدراسية .

خيبة أمل صفت جميع المتقدمين لامتحان النهائي لمادة برود سرى في شرايين جامعة "ص" . . . الفلسفة

مجموعة من الطلبة تجمعوا هنا وهناك وراحوا يتهايمسون فيما بينهم ، وكأنهم يتحدثون عن أمر جلل . "صوفي اندسون" 1 جمعت أوراقها التي كانت تصلها من طرفٍ خفي لتعلمها الفلسفة وقامت بإحراقها .

الأحداث التي جرت في الآونة الأخيرة قد أحدثت بلبلة في صفوف الجامعة ، رئيس الجامعة وعمداء الكليات وقفوا حائرين أمام طلبات الطلبة بحذف مادة الفلسفة ليس من جامعة (ص) فقط وإنما من جميع جامعات الدنيا بلا استثناء .

هكذا بدأ الطلبة ... لا نريد الفلسفة ، شبعنا من الفلسفة يصرخون ويرفعون أصواتهم .

تفاقت الأحداث ، وأصبح لها نكهة جديدة بعد أن قام طالب متزوج بطلاق زوجته لأنها لم توفر له الجو المناسب وطالب آخر أبتلع أكثر من ثلاثين حبة ... لدراسة الفلسفة أسبرين لإسكات الصداع الذي راح ينتابه وهو يدرس مادة الفلسفة ، وطالبة كانت قد ارتبطت بشاب جميل له مستقبل واعد ، فسخت خطوبتها لأنها لم تجد الوقت الكافي للجلوس معه والتحدث في أمور مستقبلهم .

أبواب الجامعة ما زالت مفتوحة ، الطلبة يتجمعون ، ويتحول همسهم إلى ضجة غير مقبولة في جامعة (ص) . ترتفع الأصوات شيئاً فشيئاً ، وحدات من الأمن تطوق أسوار الجامعة من الخارج تحسباً لحدوث مظاهرات ما أو أحداث شغب ، مكبرات الصوت بين أيدي الطلبة تطالب ليس بحذف مادة الفلسفة فقط ، إنما بحرق الفلسفة وإعدام سقراط مرة أخرى .

وصلت الأخبار إلى وزير التعليم العالي ، الذي بادر لتقديم استقالته فور سماعه الخبر وذلك بسبب أن مؤهله العلمي ((دكتوراه)) في الفلسفة ، تم تشكيل وزارة جديدة ، وتم اختيار وزير للتعليم العالي ممن يكرهون الفلسفة ، وربما كان ممن حملوا مادة الفلسفة مرارا وتكرارا أثناء الدراسة الجامعية ،

تسارعت الأحداث في جامعة (ص) وانتقلت الصحافة
المرئية والمقروءة إلى الحرم الجامعي ، وأصبحت الحدث
الأهم بعد احتلال العراق .

آخر الأخبار كانت إلقاء القبض على سقراط والمطالبة
بإعدامه .

خرج الفلاسفة ينفضون التراب عن أجسادهم لوقف هذه
... المهزلة ، أرسطو ، أفلاطون ، الفارابي ، الكندي ،
ومن العصر الحديث د. زكي نجيب محمود .

جمع غفير من الفلاسفة تجمعوا في ساحة جامعة (ص) التي
تحتجز سقراط وكما كبيرا من كتب الفلسفة .

باءت كل المحاولات في إقناع الطلبة بعدم إعدام سقراط
بالفشل الذريع .

وأصر الطلبة على إعدام سقراط رمز الفلسفة . استجاب
سقراط دون مقاومة ، وطلب كأس السم بدون محاكمة هذه
المرة وبدون قضاة وبدون أن تحزن عليه أثينا ، ليتجرعها
مرة أخرى على مرأى العصر الحديث .

رفض الطلاب جلب السم لسقراط .

قال أحد الطلبة لأحد المرسلين الصحفيين وإحدى القنوات الفضائية بأن هناك وسائل حديثة للإعدام ، ولم يفصح عن هذه الوسائل .

لم تجد كل المحاولات في الإفراج عن سقراط وعدم إعدامه مرة أخرى ، وبدا التصميم واضحا من قبل طلبة جامعة (ص) بإعدام سقراط ، كانت وسائل الإعلام تترقب الإعلان عن الطرق الحديثة التي قال بها الطلبة .

أحد الصحفيين وعلى إحدى القنوات الفضائية توقع أن يكون الإعدام بالصدمة الكهربائية، قناة فضائية أخرى توقعت أن يكون الإعدام على الطريقة الإسرائيلية أو الأمريكية . صحفي ساذج توقع أن يكون الإعدام بأن يلقي سقراط من فوق سطح الجامعة المرتفع . فتاة تتقن مهنة الصحافة توقعت أن يكون الإعدام باشرأك سقراط واجباره على تحرير العراق .

لن أطيل عليكم أيها السادة ، فقد قرر طلبة جامعة (ص) ، أن يكون إعدام سقراط بأن يدرس مادة الفلسفة في جامعة (ص) ، وإذا لم ينجح _ وهذا في شبه المؤكد _ فسوف يكون هناك محاكمة أخرى لسقراط وبدون وجود قضاة ، أوقلتُ أني لن أطيل عليكم ، هل للفلسفة ضرورة في الحياة أم هي

انتهت

هامش :

1) صوفي امدسون: هي الفتاة التي تلعب الدور الرئيسي في رواية ، ، عالم صوفي، ، للروائي جويستان جارنر ، فهي في الرواية تبدأ بتعلم الفلسفة عن طريق رسائل تصلها من مجهول ، والرواية تدور حول تاريخ الفلسفة .

مقہی الغیاب

مقهى الغياب

يلتهب الشارع تحت قدمي ، يسبح جسدي في أوهام يخلقها
الحرّ الزائد ، تسيطر على مراكز الإحساس أفكار وهواجس
عجزت عن إسكاتها...

أرض قاحلة، تأبى أن تحيا ، تموت طائفة غير عاصية ،
أشجار عارية تنقص أغصانها مع كل هبة ريح ، ثمة
أمور يقف المرء عاجزا مترددا عن التفكير بها أو تفسيرها،
صخور صلداء تنتثر هنا وهناك تسدّ كل المنافذ ... جدران
يكسوها الكسل والخمول، تقودني خطاي الواهنة إلى مقهى
تربعت فوق بابهِ الأخضر الداكن _ ربما تكون هذه البقعة
الوحيدة الخضراء في هذا المكان _ لافتة كبيرة ، وجدت
صعوبة في تهجي حروفها " مقهى الغياب" .
تسحرني تفاصيل المكان ، تبدو في أقرب صورها ... جفاف
...يباس... غياب...

غياب تسبح فيه روعي ، تنسل من أطراف أصابعي ،
وأرى نفسي قتاتا ...بل ذرات تعانق الرياح.
أفكار ورؤى مبعثرة تدفعني من هوة إلى أخرى ، ويظل
حبل الحياة يتدلى قرب أيدينا ...

أجرُ قدميَّ إلى داخل المقهى، نتفحص عيناى المكان بحذر شديد ، تدوران مثل كاميرا تلفزيونية ، من زاوية إلى أخرى ، ترصدان كل صغيرة وكبيرة . المقهى يخلو تماما من الحياة ...تتناثر في زواياه مقاعد ومناضد علاها الغبار ، جدرانه مزينة بلوحات زيتية تراكمت على وجوها مرارة السنين والأيام ، أتأملها ، أحاول الولوج إلى دهاليزها ومعرفة أسرارها ، زجاجات فارغة ملقاة في أماكن كثيرة ، يثرثر عقلي كثيرا وهو يتفحص المكان ، يدرسه بعناية فائقة ، ويخرج بلا شيء .

هواجس المكان تحاول أن تنال من ذاكراتي ، فأسمع نفسي تهذي . أجلس وأنا ما زلت أتفقد المكان ، أضع حقيبتى التي أثقلت كاهلي فما عدت قادرا على حملها ، أضعها بجانبى بلطف شديد ، أحاول أن استرخي ، أن أترك العنان لخيالى ، وأي خيال بعد هذا ... بقيت عيناى تدوران ..أبحث عن حياة ، أرهف السمع عسى أذني تقع على صوت ، على همس، السكون أكل المكان ، والصمت فرخ في كل زواياه وعشش، كابوس ثقيل ، نسيت أنني كنت قبل لحظات يكاد يقتلني العطش.

جسدى لا يقوى على الحراك ، يحتاج إلى الماء ، من منا ينكر فائدة الماء ، أبحث عن مصدر للماء ، المصادر كثيرة ولكنها لا تحمل في داخلها إلا الجفاف ، أي مكان هذا !!! هل أبحث عن مكان آخر ، هل كل الأماكن أصابها الجفاف ، جسدى أنهكته الأيام والأحلام أصبح لا يقوى على

المسير ، إذاً هو الاستسلام ، ما أقبح أن نستسلم أمام هزائمنا ،
ليكن هذا المقهى آخر المساحات التي تدوسها قدمي .
العطش العطش إلى الحياة ... إلى همسة تعيد تتدفق
الدماء إلى عروقي الغارقة في الاستسلام ... إلى رائحة
تذيب ما تراكم من الحقد والكراهية لهذه الدنيا ... أضع
رأسي على الطاولة التي أمامي غير مكترث بغبارها
وقذارتها ... فالقذارة تصبح أحيانا طقسا عاديا مألوفا ، هو
النوم ، هكذا يجب أن نستسلم لمصائرنا ، نخلع كل ثياب
الأمل ونلقي برؤوسنا الخاوية وننام .
تستيقظ أجزاء جسدي على أصوات ، أرفع رأسي ، أفتح
عيني على اتساعهما ، ناس...بشر يدخلون إلى المقهى ،
كلهم يحملون حقائب سفرهم ، الغبار يعلو وجوههم ، آثار
السفر تعانق أجسادهم الهشة ، خطاهم قد أتعبتها الليالي
والطرق الوعرة ، عيونهم من تحت قبعاتهم تاهت في
رماد السنين والأيام ، ها هم يجلسون على المقاعد المتناثرة
...يسحبون مقاعدهم ... يثرثرون ... يضحكون...يبيكون
...أصواتهم تتعالى ، أرهف السمع ، انه خرير الماء ، الماء
يتدفق بغزارة ، أرفع رأسي أكثر فأكثريمتد رأسي في
الهواء ، تدور عيناوي من جديد ، أحدهم يسألني وهو ينحني
أمامي :

__ أستاذ ماذا تشرب ???

__ أشرب !!!!

لا...لا... لقد ارتويت .

...تعيش أنت

...تعيش أنت

فزع من نومه وهو يمد يده باتجاه المنبه اللعين وبعد محاولات عديدة تمكن من الوصول والاستدلال على تلك الصغيرة التي تقطع أوتار حنجرتة و ترمي به في قيعان البحار المرة .

ينظر إلى الساعة المعلقة على الحائط من جديد تقفز عيناه من رأسه، يتذكر المدير الجديد يراه يتربع فوق الساعة يتأفف من ... ينظر إليه كقرد أضاع أمه ، يسمعه يصرخ تأخر الموظفين يهدد.. يتوعد، يزيد.. يرغي.. يثور وتضيع منه الكلمات والحروف بعد أن يأخذه التعب .

تخيفه نظرات المدير ، يتحاشاها ، يحاول ألا يتطلع
في عينيه مهما كانت الأسباب ، لا يقوى على النظر و
التحديق فيهما ، ينهض ، يعلم انه يجب عليه أن يمر في
برنامج اليومي الذي اعتاده بأسرع من السابق بكثير ، يقف
أمام المغسلة ولكنه في هذه المرة لا يطيل الوقوف كالسابق
، فهو يعلم انه في عجلة من أمره وضياع الوقت ليس في
صالحه .

ينظر في المرأة ، يرى مديره الجديد ، يقف يحرك
يده وشفتيه ورأسه ، وجسده ، ويسمعه يقول :

ألك أولاد؟؟

. أربعة يا سيدي.

ألك زوجة؟؟

واحدة يا سيدي.

ألك بيت؟؟

واحد يا سيدي.

. لماذا لا ... إذن لماذا تصر على تدمير بيتك بيدك
تأتي إلى وظيفتك في ... تكون كباقي الموظفين ، مطيع
الموعد المحدد دون تأخير

سأكون واحدا من هؤلاء يا سيدي .
إذن ليكن هذا الإنذار الأخير يا
أستاذ عثمان .

يشرب قهوته وهو يرتدي ملابسه ، وكان قبل اليوم
يشربها وهو ما زال في فراشه يتقلب من جهة إلى أخرى .

يحمل حقيبته الدبلوماسية ، فقد اعتاد إلا يخرج إلا
بها حتى تجرأ أحدهم يوماً

وسأله إن كان يشغل منصبا مهما في الحكومة أو
ماذا فيجيبه وهو لا يلتفت إليه بأنه لم يبق في الحكومة
مناصب تستحق الأهمية .

يرتب أموره وهو يتذكر وجه مديره الجديد وهو
ينظر إليه بعينيه ويشد على الحروف وهي خارجة من
مخارجها غير الصحيحة في كثير من الأحيان .

الدوام مقدس يا أستاذ ، أنا لا أسمح بأي تأخير وهو لا يجد منه سوى هزة الرأس التي اعتاد عليها منذ كان طفلاً ، يقف أمام والده وهو يوجه اللوم إليه أحيانا والأوامر في أحيان كثيرة ، ولم يكن يستطيع أن يفعل أكثر من أن يهز رأسه وراء كل أمر ، وفي مرات كثيرة وراء كل كلمة.

يغلق وراءه الباب بهدوء حتى لا تستيقظ زوجته وأولاده ، و يخرج لا يلتفت إلى شيء ، فقط ينظر إلى الساعة مرة وإلى الدرجات تحت قدميه مرة أخرى ، وقد

كان قبل اليوم يمضي بعض الوقت في عدها ، و يتمهل قليلا وهو يمر بجارته التي تتقن اختيار ألوان قمصان نومها كما تتقن الوقوف على الأبواب .

يستوقفه جار لهم كثير الكلام في وقت لا يرغب فيه الوقوف مع أحد ، فهو يعلم أن هذا الجار سيكون سببا في

تأخره ،لكن جاره يصر على إيقافه ويطمئنه بأنه لن يأخذ من وقته كثيرا .

ويحاول أن يشعره المرة تلو الأخرى بأنه في عجلة من أمره ،لم يعد وقته صباحا يسمح له بالتحدث مع أحد ،والآخر يصر على انه لن يأخذ من وقته كثيرا.

كان يمعن النظر في وجه جارهم الذي كان يشبه الملامح ... الناطق ... الخالق ... وجه مديره كثيرا التهاون بالآخرين العينان ... الجبين المقطب ... الساخنة صرخ في داخله ، ... انه هو ... عينا مديره الأنف ... يقف في طريقه ،يعيق حركته يضمر له العداء ،هل يطبق يديه على رقبته و ينتهي .

كان ما زال يهز برأسه وجاره يتحدث وهو لا يسمعه ولا يراه ، ثم ينفجر غضبا : أرجوك يا جاري العزيز أنا في عجلة من أمري .

يمضي في سبيله و جاره ما زال يتحدث إليه و يرفع
صوته كي يسمعه و هو يحث الخطى نحو موقف الباص
الذي توقف و صعد إليه ليأخذ مكانا قريبا من السائق .

كان ينظر في ساعته ويطمئن نفسه بأنه سوف يصل
في الوقت المناسب حين استوقفهم شرطي المرور وأشار
لهم بالتوقف .

ينظر إلى السائق و هو يتوقف على يمين الطريق
، يطفأ المحرك يستخرج علبة تبغ، يسحب منها
سيجارة و بحركة كسولة جدا يشعلها ، و يرمي
رأسه على المقود و كأن الأمر لا يعنيه .
فينفجر صائحا به :

○ يا أخي لماذا لا تذهب إليه و تنتظر ماذا يريد

؟؟

ينظر إليه السائق و ينفجر ضاحكا ، ثم يقول :

أنا الذي أوقفته أم هو الذي أوقفني ؟؟

○ ولكني قد أتأخر عن وظيفتي .

ويرد عليه السائق ببرودة شديد :

وما ذنبي

؟؟

تجرح الكلمات أذنيه ، يقف على قدميه ، يقترب من ... السائق كانت ملامحه تشبه ملامح مديره الجديد ، الوجه التهديد ، لا بل هو نفسه ، توشك ... الاستهانة ... النظرات يداه أن تطبق على عنقه ولكنه يتوقف حين يرى شرطي المرور يمد يده من نافذة السائق طالبا رخصه .

فيخرج السائق رخصه و يمد بها إلى الشرطي الذي يأخذها ويعود إلى الشارع مرة أخرى حاملا صافرته يطلقها متى شاء ، والسائق لا يتحرك من مقعده ، و الشرطي منهمكا في عمل قد لا ينتهي أبدا .

الدم يغلي في عروقه، أوداجه تنتفخ ، عرقه يتصبب ،
جسده يهتز كشراع غلبته الريح، الشرر يتطاير من عينيه
، قدماه تسيران باتجاه الشرطي ، يسأله :

○ إلى متى سنظل نقف هكذا ؟

ينظر الشرطي بطرف عينه و يقول :

من أنت ؟؟

يجيبه وهو ينظر إليه بعناية شديدة بأنه واحد من الركاب
الذين يستقلون ذلك الباص ، وأنه سوف يتأخر عن دوامه
إذا لم يفرج عن هذا السائق بإعطائه رخصه .

يجيبه وهو ينظر إليه بعينين أكلها النوم :

وما ذنبي ... تتأخر لا تتأخر هذا شيء
لا يعنيني .

لا ... انه يشبه وجه المدير الجديد ... ينظر في وجهه بل انه هو . يرجع إلى الباص يجلس كفأر خائف مهزوم ، ويركز بصره على ساعته التي كانت تسير وهي تلتهم كل الآمال في الوصول إلى عمله مبكرا دون تأخير تدور فاضلة ، ... الأفكار في رأسه يسرح خياله في مدينة مثالية لماذا لا تكون همومنا مشتركة ؟ لماذا لا نحفل بهموم الآخرين يتقدم الشرطي من نافذة السائق ويرمي عليه رخصه و يقول له : مع السلامة ، أي سلامة يرجوها لهم .

يتحرك الباص بهم ، يسمع السائق يهذي بكلمات ما كان يشغل باله هو ... كثيرة ، لم يفهم منها إلا القليل تصرف المدير الجديد معه عندما يصل إلى عمله .

هل سيرفع صوته عليه ويكتفي . . . كيف سيعامله هل سوف يصمت ويكون صمته ونظراته أقوى وأبلغ من صراخه، أم سيكتفي بإنذاره كالعادة ويقول له بصوت المقاتل المتعب، الذي أنهكه طول الحروب :

لتكن هذه آخر مرة يا أستاذ.

كان يسبح في بحر من الأفكار العفنة ، يسرق
والى نفسه، يرسم له صورا عديدة ، ... النظرات إلى مديره
يستيقظ من شروده وغفلته والباص يتوقف بهم بالقرب من
مكان عمله ، يحمل حقيبته ويهبط من الباص ونفسه
تضطرب، يدلف إلى الدائرة وهو يرصد خيال مديره ، لعله
قد خرج من مكتبه متفقدا ، أو لعله يقف في أحد الممرات أو
...

كانت نظراته تتوزع في كل الفراغات والاتجاهات ،
لم يكن غير ...وقدماه تتجهان إلى مكان وجود سجل الدوام
المراسل الذي رمى برأسه على الطاولة - على غير عادته
لقد تأخر ساعة ... ينظر في ساعته ... وغط في نوم عميق
يوقع أمام اسمه تسير قدماه مسرعة نحو ... على الأقل
مكتبه قبل أن يراه المدير ، لكن المكان هادئ ، بل يسبح
في هدوء مريب ، النوافذ ما زالت مقفلة ، الأبواب موصدة
، الممرات تخلو من أي حركة، تفقدت عيناه غرف زملائه
لم يكن فيها أحد، سمح لنفسه بفتح الأبواب ... الموظفين
لا أحد ، تقدمت قدماه ... الموصدة ، كانت الغرف فارغة
بخوف شديد من غرفة المدير ، حاول أن يستجمع جأشه
وقوته ، ولكنه تلعثم بينه وبين نفسه ولم يستطع تحضير

إجابة مقنعة لسؤال مديره عن سبب تأخره ، دفع الباب بعد أن قرع عليه بلطف شديد ، كانت الغرفة فارغة تماما ، أرسل بصره نحو كرسي المدير الذي كان يهتز رغم فراغه وخلوه ، وصدى صوته كان يملأ الغرفة البائسة .

بدأ يعيد إلى نفسه توازنها ، وراح ينسى تأخره شيئا... فشيئا ، وأحس بالخوف وهو ينسحب من جسده رويدا ما بال هذه البناية ... أين المدير ... أين زملاؤه ... رويدا ... خاوية ، كأنه اخطأ العنوان ، أو أخطأ في عد الأيام يوم ... واليوم ... مكان عمله ... هو ... العنوان هو البناية التي ... ولكن لا وجود للعمل ... عمل رسمي ما ... لا أحد فيها ... تغص بالموظفين والمراجعين عادة الذي حدث ، تسير قدماه باتجاه غرفة الاجتماعات ، خيل تصور أن يكون هناك اجتماع طارئ قد دعا إليه ... له المدير ليضع حدا لتأخر الموظفين أمثاله ويكون هو أول كانت خالية تصفر فيها ... الذين تطالهم هذه القرارات الشياطين ، ويملاً الغبار مناظدها ، ومجموعة من الأوراق قد تركت هنا وهناك .

ماذا يفعل ???

رجع يجر قدميه تاركا العنان لخياله ، كمن أضاع
دليله واتجه في صحراء عمياء ، يصحو من جديد ، يحث
الخطى نحو المراسل الذي كان ما يزال يغط في نوم عميق
، ربما يفسر له شيئا ، يشرح له ما لا يفهم ، قد يكون عنده
ما ليس عنده، دائما نحن بحاجة للآخرين

- محمود ... محمود ... استيقظ يا رجل .
✓ مين ... مين ... الأستاذ عثمان .
 الأستاذ عثمان ... الأستاذ بطيخ ... أين
ذهب الموظفون ... أين المدير ... أين الناس
أين ... أين ... ؟؟؟؟
✓ المدير تعيش أنت يا أستاذ .

طلقة واحدة تكفي

* طلقة واحدة تكفي *

أربعون عاما مضت من عمره وهو لا يرى ما يسره
في هذه الحياة ، أربعون عام مضت وهو يجري في أثر
السعادة ولا يظفر بها . الفقر أعماه ، جعل منه إنسانا
يتخبط في العصور ويخاط الأيام بالشهور .

دائماً تلتقطه عينك وهو متلبسٌ بالتمني ، والأمني فاكهة
الفقراء وزاد الضعفاء . ولكن إلى متى.... أليس للأمني من
نهاية . أضجره واقع حاله، طرق الأبواب ، وكانت كلها
موصدة بإحكام ، جاب الطرقات ولم يجد من يخفف همه ،
كلت قدماه وصار الموت أحبّ إليه من الحياة ، افترش
الأرض والتحف السماء. وكان كلما ازداد ضيق الدنيا عليه
لعن حظه التعس، وانشغل في عد السنين ، حتى زوجته
التي اختارها بنفسه يا لها من زوجة . ينظر إليها وهي
تقلب كفيها وتندب حظها ، وما بين اللحظة والأخرى تنظر
إليه بازدياد ، وتهكم وتشيح ببصرها خوفا من أن يعلق
بوجهه.

أربعون عاما وهو عاجز عن اتخاذ قرار مهما يكن هذا القرار، واليوم قفز إلى خياله بأنه يجب أن يتخذ قرارا ، حتى لو كان هذا القرار الذهاب إلى جهنم ، ويسمع زوجته وهي تقول له :

_ الانتحار حرام يا رجل ، الانتحار ضعف وهزيمة.

"_ الموت خير من النظر إلى وجهك الذي لا يجلب الا الهم والنكد.

_ وجهي أم همتك الرديئة وطبعك السخيف.

2

تفقد أدوات موته... سيكون موتا سريعا ، تعذبت كثيرا ، لا أريد أن أتعذب وأنا أموت أيضا......طلقة واحدة وأكون في عالم آخر لا توجد فيه زوجتي ولا من ينغص عليّ عيشتي

الأمر لا يحتاج إلا إلى اليسير من الشجاعة وكل شيء سيكون أسهل مما تتوقع .

أخرج مسدسه ، تلمسه برفق ... حشاه بعدة طلقات ، ثم راح يستخرجها ثانية وهو يقول :

طلقة واحدة تكفي ، لا أحتاج إلى أكثر من طلقة وينتهي كل شيء .

سحب الزناد وهو يتذكر أيامه التي مضت ، صوب فوهة المسدس إلى رأسه ، ارتعدت فرائصه ، تحلب ريقه ، اسودت الدنيا في عينيه أكثر من قبل ، استجمع قواه ، الشياطين من حوله تصفق له وتحثه على المغامرة ، سيولد شيطان جديد . عيناه ترصدان كل شيء حوله ، وقبل أن يدوس على الزناد ، وقبل أن تخترق الطلقة رأسه ... وقبل أن يودع هذه الدنيا .. وقبل أن تموت الآمال وتفنى الأعمار ، كان أحدهم يمسك بيده ، ويبعد السلاح عن رأسه .

3

تراخت يداه ، ضعفت أعصابه ، نظر إلى أعلى ، جفل قلبه ، تمتم لسانه : من أنت ؟؟؟؟

_ لك أن تقول أنني ملاك ، أردت أن أحملك من نفسك الأمانة بالسوء .

_ ولكني لا أريد الحياة ، لم يعد ما في الحياة يغريني .

_ سوف أمنحك فرصة جديدة .

_ فرصة جديدة .. وفقر جديد ... وتعاسة لن تفارقني ..
وزوجة تعكر صفو حياتي أن كان هناك هذا الذي أسميه
صفوا .. لا ... لا ... أشك أن هناك متسعاً لامثالي في هذه
الحياة .

_ بل متسع كبير .. أنت من الآن طبيب ، تعالج المرضى .

_ طبيب !!! وأنا لا أستطيع حتى مداواة نفسي . قل كلاماً
غير هذا حتى أصدقك .

_ سوف أساعدك ، سوف أكون إلى جانبك دائماً

_ ولكن ليس لي بالطب دراية .

_ قلت لك سوف أساعدك ، الأمر في غاية البساطة ،
سأرسلك إلى قرية تعج بالمرض ، تغص بالمرضى ، لا بل
قل معظم أهلها يشكون ويتألمون وسأكون معك ، لا يراني
أحد سواك ، فإذا رأيتني واقفاً عند أرجل المريض فاعلم بأنه
سوف يشفى بأذن الله ، فأعطه من الأدوية

التي لا تضر وقد تنفع بإذن الله ، وإن رأيتني عند رأسه ،
فاعلم أنه سوف يموت ، فأخبر أهله بالطريقة التي تراها

مناسبة ، حتى يعلو شأنك ، ويظهر صيتك ، فلا يبقى أحد
إلا وقد سمع بك ، ولا تأمر للمريض بشيء ، فهو مفارق .

نسي الموت ، ونسي مسدسه المحشو بطلقة واحده ،

وراح ينتقل من بيت إلى آخر ، ويحرص على رؤية صاحبه
الجديد ، ينظر إليه أين يقف ثم يبدأ عمله ... يخلط الأعشاب
، ويسقي المريض ، والناس يدعون له ، والقرية ترفل
بأنواب الفرح والسعادة والسرور لقدم هذا الطبيب الذي لا
يخطئ أبدا والأموال تتكاثر بين يديه ، وبعد أن كان خادما
صار مخدوما ، لا وخدمه كثر .

5

يمرض كبير القرية ، وتمرض القرية لمرضه ، ويزداد
مرضه وتلح عليه الأوجاع والآلام ... ويكي من حوله
الباكون ويجلل القرية السواد ، ويهرعون زرافات
ووحदानا إلى الطبيب الجديد .. ويحمل أدواته ، ويشمر
عن سيقانه ، ويهرع إلى كبير القرية ، وهو ينظر إلى
السماء وهي تبتسم ، وإلى الأشجار وهي تميل طربا ، وإلى
كل الأشياء وهي تغني له ، فأبي فرصة أعظم من هذه
الفرصة

ويهرع إلى كبير القرية ... وتصمت الأنفاس، ويدخل
الطبيب على المريض، ويتفقد صاحبه ، فإذا هو عند أقدام
المريض فيبتسم ، وتكبر ابتسامته والناس سيكون
القلوب معلقة بالطبيب وبالمريض

ويضع الطبيب يده على رأس المريض بكل مهارة ، ويقرأ
.... ويقرأ ويتمتم ... والناس يحدقون ، وفي قرارة
أنفسهم مستيقنون ، فالموت أمر لا مفر منه ، واليأس كان قد
تسلل إلى قلوبهم ، فلا رجاء من شفاء كبيرهم وحببيهم ،
كانوا يحبونه حبا صادقا لم يعهده صاحبنا من قبل ، وراح
الطبيب يلقي الأوامر ، والناس من حوله يلبون ، ويركضون
في إحضار ما يطلب ، والطبيب يبتسم وهم يتعجبون ،
ويسمعونه وهو يقول وكلهم أذان صاغية ، وقلوب واعية
_ لن تمر أكثر من ثلاثة أيام حتى يكون في صحة جيدة

والأكف من حوله ترتفع بالدعاء والتضرع إلى الله ،
والطبيب ينظر لصاحبه المبتسم وابتسم ويكمل قوله
وتعليماته إلى الموجودين :

سأعود إليه في المساء ... ابقوا إلى جانبه واجلبوا كذا وكذا

....

ويعود الطبيب إلى بيته ويغرق ما بين الخدم والحشم ولذيذ الطعام وطيبه ، لم تعد الأيام المرة تمر في باله ، وإذا مرت بعدها طردها بالقوة أصبح يسرق الوقت من الزمن فلا يجده.... فالأيام تمر في أجمل حللها ، والساعات تمر في أحلى أوقاتها ، وكبير القرية يتماثل للشفاء ، وتفرح القرية من جديد ، وتدق الطبول ... وتعزف الأوتار .. وترقص الملاح ... ويستيقظ كبير القرية من غيبوبته ، ويفتح عينيه ويسأل عن طبيبه ومعالجه ، ويحضر الرجل ، ويجلس حيث لم يحلم ، ويقرر كبير القرية مكافأة الطبيب ، ولكن بماذا ، بماذا يشق صدر الفرح ليزرع هناك بذور الدرر ، ما أعز شيء على نفسه ، إنها ابنته ، نعم سوف يزوجه ابنته ، ، وتدور الأفراح والليالي الملاح ، وتعيش القرية في فرح وسرور ، وتشرب كأس السعادة حتى الثمالة ، ويزداد عدد الخدم والحشم ، وتكثر الأموال حتى تنسيه نفسه ، وتمر الأيام حلوة جميلة بل غاية في الروعة

وتمضي السنون ، أربعون عاما مرت وكأنها يوم واحد ،
كلها أيام حلوة جميلة ...ولكن هل للفرح نهاية .

يمرض الطبيب ، ويشتد مرضه ، وينظر حوله ، وإذا
بصاحبه يقف عند رأسه ، فيفزع ، ويجاهد نفسه ليتحرك
ويغير من وضعه ، فيجعل رأسه مكان قدميه ، ولكن
صاحبه ينتقل مع حركة قدميه ويستقر مرة أخرى عند رأسه
، فيشعر باقتراب المنية ودنو الأجل ، وتقطع حبال الوصل
والحياة ، فالمنية قد دنت والأيام قد انتهت ، ويتوسل
بنظراته لصاحبه ، وصاحبه يمد له بمسدسه القديم وما زال
في جوفه طلقة واحدة ، والرجل في حالة رفض مستمر ،
ويمده له بعنف ، ولكن الرجل يقول :لم يعد لي حاجة به .

ويكون الموت أقرب إليه من لسانه ويده ومن حبل
الوريد

مجنون.....

مجنون....

يجلس في ركن قصي مبتعدا عن ضجيج نفسه والناس، يتكور
كالكرة على نفسه ، رأس صغير يختفي تحت قبعة
صغيرة بيضاء ، لحية طالت وتبعثر شعرها ، وبدا ضعيفا
... متقوسا دون ترتيب أو تنسيق.

عينان صغيرتان ، غابتا في محجرين ضيقين ، تتأمل المارة
بصمت يملأه الحزن والألم ، يتنفس القهر ..والذل ...والظلم
..والهوان ..ومفردات أخرى يضطر أحيانا للتنقل والارتحال ،
من رصيف إلى رصيف ، أو من مكان إلى آخر، فيتبعه الأولاد
بسخفهم وفراغهم ، ينادونه ، وتنفجر أصواتهم في أذنيه كفقاقيع
هواء ، لا تترك أثرا . المجنون ... المجنون المجنون ...
ويتألم كثيرا عندما يصبح هدفا لحجر طفل صغير . يتأبط رغيفا
، يقضمه ماشيا ، يسير في أكثر الأحيان حافيا . ومنذ أيام ألقى
عصا الترحال ، واستقرت به الأحوال ، في قرية صغيرة ،
أصابها الإهمال ، أهلها طيبون . طيبون لكنهم تافهون، لا
يجيدون سوى صناعة الكلام ، والحديث عن الغرام ، والعيش في
الأوهام ، فمنهم الشاعر ، والقاص ، والمحامي ، والخطيب ،
والصحفي ، والحلاق ، والمغني ، والدجال .

يجلس متقيا الشمس بجدار مهمل ، أو شجرة جوفاء لا تثمر
،يجوب الطرقات ، والأزقة الضيقة ، لا يؤدي أحدا ، اعتادت
الأعين رؤيته ، واعتاد الناس وجوده ، أينما تحط بك الرحال تراه
، حتى اصبح كأنه اثر من آثارها، أو علامة من علاماتها ، من
أراد أن يخفف من أحزانه وهمومه تحدث بقصة من قصص

المجنون الكثيرة ، اصبح يشغل حيزا في عقل كل فرد من أفراد القرية ، يرقبونه ، يتحسسون أخباره ، يعلمون انه يكره نهيق الحمير ، وصوت المرأة ، وصوت الطبول ، ويحب صوت الديك ، وتغريد الأطيوار ، وسماع حفيف الأشجار . كثيرا ما تجده مستلقيا تحت شجرة ، يلفه الوقار والهيبة ، وتشعر وأنت تنظر إليه بأنك تنظر إلى سيد ولكن علاه بعض الغبار . حدث بعضهم : أنهم شاهدوه يجلس قرب عين الماء يتأمل الطبيعة من حوله ، وعلق أحدهم ساخرا :

لقد اصبح المجنون شاعرا !!!

واقسم آخر انه سمعه يغني لحنا عذبا ... رقيقا في نفس المكان . وانبرى آخر معلقا :

من قال لكم أنه مجنون ؟؟؟؟

آلا تلاحظون أن في وجهه الكثير من سمات العبقرية وبين العبقرية والجنون شعرة ها ها ها

لم يكن للقرية حديث إلا قصص المجنون ، الذي اقتحم عليهم قريتهم ، وجعل من نفسه لغزا وشغلا لأهل القرية ، وكأن هذه القرية لم تكن تعرف الكلام ولا كيفية الابتسام إلا بعد أن حل هذا المجنون فيها .

لم تكن هذه القصص مقتصرة على القرية وأهلها البسطاء ، بل تسالت إلى دهاليز وأروقة بيت المختار ، وقد وقف المختار مشدوها أمام طلب زوجته وابنته برؤية المجنون ، فما كان منه إلا أن أرسل اثنين من حرسه الخاص وأمرهما بإحضار المجنون ، أجلسه كالقرد على أريكة فخمة، ليمتع عيون ابنته المدللة وزوجته.....،

وقد ضحكت زوجة المختار حتى تشقق لحم زاويتي فمها ،
وسكرت القرية بالضحك المتواصل ، وبات كل شيء في القرية
يبتسم ويضحك ، شجرها وحجرها ، حيوانها وطيرها ، صغارها
وكبارها ، ولم يقطع سيل الضحك المتواصل ، سوى ذلك الخبر
اللئيم الذي نقله أحدهم عن نمر يجوب أطراف القرية ، وراحت
الأصوات تحذر الناس من الخروج ليلاً، أو الابتعاد عن البيوت
نهاراً ، وأوصدت الأبواب، واختبأ الجبناء في أحضان زوجاتهم
، وخلت القرية من المارة ، ولأول مرة منذ سنوات طويلة يغلق
الباب الكبير لبيت المختار ، وقد شاهد أحدهم مجموعة من
الرجال يقومون بوضع المزيد من الطوب لرفع السور المحيط
ببيت المختار ، وانتشر الرعب انتشار النار في الهشيم ،
واصطكت أرجل الرجال وأسنانهم ، باتت القرية خاوية على
عروشها ، فلا تسمع أصواتا ، وتعطلت لغة الكلام لم يبق
يتسكع في شوارع وأزقة لقرية إلا المجنون ودارت الأحاديث ،
وتناقلت الألسن المهترئة تفاصيل الحدث .

قال أحدهم : النمر وحش مفترس ، تصور أنه يستطيع أن يطيح
بأضخم الرجال بضربة واحدة .

وقال آخر : لن يقف المختار مكتوف اليدين إزاء هذا الخطب
العظيم .

- لا بد أن يفعل شيئاً

- قد أعلن عن جائزة كبيرة لمن يأتي برأس النمر .

- وقد أبقى هذه الجائزة سرا ، كسر النمر .

قد تكون إحدى فله الفخمة ، أو ابنته الدلوعة ، أو قد تكون إحدى
زوجاته الجميلات المائة .

بسط الظلام جناحيه على القرية ، بات الرعب يملأ القلوب ،
المعد خاوية ، وخبر تتناقله الألسن بأن المجنون سيذهب
لإحضار رأس النمر ؛ ليصنع منه المختار لوحة يزين بها أحد
جدران بيته . أكد واحد من أهل القرية إنه سمع المجنون يقسم
الأيمان المغلظة ، على أن يجعل من هذا النمر المتوحش
أضحوكة لكل من أراد أو لم يرد الضحك .
انطلق المجنون في أزقة وطرقات القرية يبحث عن حتفه بيديه ،
يبحث عن نمر أرعب أصحاب العقول ، حاول أكثر من شخص
أن يمنعه من المضي في هذا الطريق ، خوّفوه بأن النمر لا يرحم
، حيوان من الطبقة الأرستقراطية ، له أنياب أطول من أصابعك
التي دب فيها الضعف والهزال ، ومخالب أقوى من ذراعيك
المتقلصتين ، وأن له من الحيلة والمكر والتدبير الدهاء ما لا
يوجد حتى عند الدول العظمى . لكنه أصر على الذهاب ، أصر
أن يموت بين مخالب هذا المتوحش على أن يعيش بين مجموعة
من الخراف ، لم يحمل معه سوى سلسلة حديدية ، وعصا لا
تؤدي طفلا ، وعندما عرض عليه المختار إحدى بنادقه الكثيرة
التي تزين جدران منزله ، رفض قائلاً : قد تحتاجها في إحياء
إحدى الحفلات الكثيرة .

كانت الشمس تغزل آخر خيط من خيوط النهار ، وقد اضطجع
الرجال وراحوا يمتعون أنفسهم بالنظر إلى وجوه نسائهم ، بينما
المجنون كان قد توغل في أعماق الظلام ، وبدت له الأشياء
مخيفة ... مرعبة ... مزعجة ، أقدامه تغرز في وحل من أنانية
البشر ، عيناه ترقبان طريقا يمتلىء بالأشواك ، شيء ثقيل يجثم
على صدره الخرب ، ملايين الجدران تحيط برئتيه وتمنعه من

التنفس بحرية ، إسفين حديد ينغرس في ذاكرته ، يتخيل
مجموعة من الجنود وقد صوبوا فوهات بنادقهم نحو اخوه لهم ،
ونثروا لحم أجسادهم ، ثم تسابقوا للأكل منه ، ثلاثة أيام وهو
يحث الخطى في أزقة القرية المعتمة ، ودهاليزها المنتنة ،
والناس يتجمعون قرب بيت المختار مانح الجائزة ، كان المختار
يقف بينهم ، قد علا كتفه بندقية جميلة مزخرفة ، مرصعة
بالبياقوت و الفضة ، ارتفعت فوهتها إلى أعلى حتى حاذت
حطته ناصعة البياض ، و شكلنا لوحة جميلة ، تسرق الأبصار ،
و كان كلما ضجر نظر في ساعته الذهبية ، و تمشى قليلا بين
الجموع التي احتشدت تنتظر عودة المجنون من مهمته المستحيلة

الصمت يطغى على المكان ، النفوس في أقصى حالات الإعياء ،
الناس بين حزين ... و حاقد وشامت ، العين تحاول أن تخترق
الجبال و الحواجز ، تبحث عن الحقيقة المرة الكثير من الناس
الحزن يملا عيونهم ، و بعضهم يتمتم بينه و بين جاره " الله لا
يرده"

وأحد الذين يدعون الثقافة والفصاحة يقول: "فوك نفخ وبيدك
ربطتا"

وأحد المستلقين على جثث الآخرين: سوف أنعاه في اشهر
الجرائد إنه بطل .

كادت الشمس تلفظ أنفاسها الأخيرة ، والأرض بدأت تنسل من
تحت أرجل الواقفين ، حينما صرخ أحدهم : إنني أرى خيالا
يتحرك انظروا

وقف من كان قاعدا ، ورفع رأسه من كان غارقا في لجج من
الأحلام ، كان المجنون يتقدم و قد ربط النمر في السلسلة '، يجره
بعنف و قسوة ، وقد بدا على النمر النفور والإبء
عقدت الدهشة الألسن الطويلة . نظر المختار إلى النمر و
المجنون ، ابتسم ، خلع بندقيته من ظهره ، صوبها و احسن
تصويبها ، و راحت الطلقات تنثر جسد المجنون
انتهت

عمان /تموز /1991

تحدّي

تحدي *

لم يفاجئه تجمع زوجته وأولاده بعد عودته من وظيفته، فقد كان وعدهم بأن يصحبهم إلى حديقة الحيوان التي تم افتتاحها مؤخرا في مدينة الرصيفة، ولم يجد ما يبهر عدم ذهابه ، فالمكان قريب لمن سكن هذه المدينة، والتكلفة قليلة، والمطلوب منه فقط الموافقة ، ومن ثم تحريك قدميه ولو لمرة واحدة في السنة للخروج مع زوجته وأولاده.

فرح الأولاد وهم يفتلون أبواب بيتهم ويتجهون إلى حديقة الحيوان.

على باب الحديقة تجمع الناس ، واختلط الحابل بالنابل ، وتناثر بائعو الترمس والفولوالعرق سوس....والذرة....وكل يغني على ليلاه

تحت شجرة قريبة من باب الحديقة ترك زوجته و أولاده وطلب منهم ألا يتحركوا حتى يعود إليهم وبعد تدافع بالأيدي والمناكب ، وتعالى الصراخ والهتاف خرج "أبو جميل" من بين الجموع وهو يرفع التذاكر بيده عاليا ويتجه نحو زوجته وأولاده .

حذق فيهم جيدا وهو يوصيهم بعدم الاقتراب من أفاص
الحيوانات فالحيوانات في التلفاز تختلف عنها في الحقيقة
...وساروا جميعا وهم ينظرون إلى الحيوانات ويفتحون
أفواههم بعلامات التعجب تارة وبالصراخ تارة أخرى
...و"أبو جميل" لا يبدي امتعاضا أو تأففا لصراخ أولاده بل
هو مسرور لفرحهم بهذه النزهة غير المكلفة في نظره
وتطيل "أم جميل" والأولاد الوقوف أمام قفص الأسد
،وتبدي "أم جميل" إعجابها الشديد بمشية الأسد وكبريائه
ويغتنم "أبو جميل" الفرصة ليظهر بمظهر المثقف الحصيف
فيعبر عن ذلك متمثلا قول المتنبي :

يطأ الثرى مترفقا من تيهه

فكانه أس يجس عليلا

و"أم جميل" فاغرة فاها ،تتطلع بإعجاب طفولي شديد للأسد
، غير مكترثة بكلام زوجها ، فهو في واد وهي في واد
آخر.

أمام قفص القروود تجمع الناس ، وأقبلوا إليها جماعات
وشتى ،ووجدانا ومثنى ، يشدهم ويجمعهم حركات القروود
وصياحها ، يحاولون مداعبتها ...إثارتها ... ويزداد سرور"
أم جميل" وأولادها وهم يرون الناس يقدمون لهذه القروود

قرون الموز ، وحفناات البزر ، وتنفلت ضحكاتهم عاليا وهم يرونها تقشر هذه الأشياء وتأكل ما بداخلها..

- سبحان اللهمثل بني آدم!!

- يا "أم جميل" شو بختأف القرد عن الإنسان إلا انه لا يتكلم.

ولكن لا تقتربي يا "أم جميل" ، ابقى بعيدةفالقروء غدارة.

ما زال الناس يتوافدون ويتجمعون حول القردة وهم يضحكون ، يضحكون بملء أفواههم ، وصرخات القروء تملأ المكان ، وتزيد الرعب في القلوب، ويتوقف صياح وصراخ القروء فجأة لتصرخ أم جميل بأعلى صوتها فقد تمكن أحد القروء من سحب شالها عن رأسها بعد أن كاد يؤذيها ، ويتجمد الدم في عروقها ، ويهرع "أبو جميل" إلى رأس زوجته الغالية ويغطيه بجاكيتة ، خوفا من تبقى فارعة دارعة أمام الناس ، وتبكي "أم جميل" خوفا... وهلعا... وخجلا....، والقرد يمسك بشالها ، يقربه من أنفه وسرعان ما يبعده مستقذرا ، ثم تراه يلف به رقبتة ويصرخ ، وآخر الأمر يضعه تحته ويجلس عليه وكأنه يتحدى الجميع ، يحاول أحدهم تقديم خدمة بسحب

الشال من تحته ولكنه يتراجع عندما يجد القرد حريصا على ألا يترك هذا الشال مهما كان السبب.

يتوقف الضحك، ويقف معظم الناس مشدوهين بتصرفات هذا القرد ، والقرد لا يكف عن النظر إليهم نظرة فيها التحدي ، وهم في عجز تام عن استرداد شال "أم جميل" ، وأبو جميل ما زال يتفقد جاكيتته وراس امرأته التي ما زالت غارقة في نوبة من البكاء لما حدث . ويتقدم أحدهم في عينيه شراسة تفوق شراسة القرد نفسه ، يتقدم من القفص وقد حسر قناعه ، وشمر ذراعه ، وجمع أعطافه ، ينظر في عيني القرد ، يداعبه بأصابعه التي طالت ، يحاول القرد من خلال فتحات القفص الحديدي الإمساك بيده ، يثيره ، يسخر منه بحكمة ، ينال منه في أكثر من مرة ، والقرد في حالة غضب عارم وهيجان وتصميم عجيب بالاحتفاظ بالشال ، ويناوله بعض الذين أحبوا اللعبة قطعة موز ، ويحملها الشاب متحديا القرد ، يلوح بها أمامه ، يقربها من يديه وفمه ويسحبها بخفة الساحر ، والقرد يزداد غضبا وانفعالا ، وصاحبنا يمثل الدور بإتقان عجيب ، وبحركة بهلوانية ، فيها الخفة والشطارة ، يرمي بقطعة الموز فوق القفص ، فيقفز القرد لالتقاطها فيسحب الشاب الشال بكل سهولة ويسر ، ويستدير نحو الجمهور الذي راح في نوبة

تصفيق حاد ، فقد قهر القرد ، وها هو يرفع يديه منتصرا
أمام الناس وقد أدار ظهره للقرد غير آبه ، ويقفز القرد
داخل القفص ، ويتحرك ، ويصيح ، يصرخ بأعلى صوته ،
يتعلق بالقفص مواجهها الجمهور ، ثم ما يلبث أن يطلق بوله
بغزارة باتجاه الشاب المنتصر ، الذي تبللت ملابسه ،
ويضحك الناس من جديد .

"انتهت"

صور من الماضي

صور من الماضي

الصورة الأولى/ الأستاذ فندي

مهدة إلى الدكتور محمود أبو قديس

تجاوز الستين عاما ، ولكنه ما زال يحن للقرية ، يشناق لترابها ، لنوافذها الصدئة ، لأبوابها الخشبية التي تنن مع كل حركة ، وكأنها تنادي أصحابها ، يدفعه الشوق والحنين ، لا شتاء.....صيفا... نهارا.....لطرق أبوابها ليلا يمنع عمله وتدريسه في إحدى الجامعات من تنفيذ هذا الواجب ، كثيرا ما يجلس هو وطلابه ويتذكر أيام القرية ، يسترسل في الحديث عنها ، يصمت الطلاب ، وينظرون في عينيه وهو يقص عليهم حكايات أكلتها الأيام ، ولم يبق منها إلا الذكريات .

يداه تمسكان عجلة القيادة ، عيناه ترقبان الطريق الطويل إلى القرية ، وعقله بحركة يملأها الملل والفرح يتذكر أياما مضت ، تعبت أصابعه بالمذياع الحديث في سيارته الفارهة ، يقلب قنوات المذياع ، يتوقف عند أغنية ميادة الحناوي ((

وحزنا ((يهز رأسه طربا ... هي أحلى الذكريات
ألما....

. ها هو ... تطل القرية عليه وهو ما زال يجتر الذكريات
(الأستاذ فنّدي)، أصبح عجوزا ، أكلته السنون ، لم يبق
منه سوى بعض التفاصيل التي تدل عليه ، واحد من
المعلمين الذين كان لهم شأن في حياته العلمية ، يطفئ
محرك السيارة ، يترجل منها ، يتجه تملأه الهيبة والوقار
(الأستاذ فنّدي) ، تأخذه الذكريات إلى ... نحو أستاذه
.. ما زال يتذكره ، يتذكر قدومه إلى ... الماضي البعيد
القرية ، كيف احتفل الناس به ، كيف اختلفوا وضاقت بهم
السبل فيمن يكون صاحب السبق في دعوة (الأستاذ فنّدي) ،
يتذكر دروس الرياضيات ، وجداول الضرب ، والقسمة
والقسمة بدون باق (الأستاذ فنّدي) ، صاحب بباق
. ها هو ، يجلس قرب بقالة ما ، ... العظمة والهيبة والوقار
عيناه تبحران في ماض ليس له نهاية ، وجسده يتكؤم على
كرسي من القش الرديء ، وقد وضع ساقا نحيلة - تخدعك
عيناك وأنت تنظر إليها - على أخرى ، وغاب في ماض
، يتقدم منه ، يرفع صوته وهو يسلم ... عميق ... سحق
عليه ، ويسمعه يقول:

..... لا ... أكيد أنت محمود محمود- مين
الدكتور محمود .

يحادثه قليلا ، يحاول إعادة الهبة والوقار له ، يحاول
تجديد أمجادٍ مضت وأخذتها الرياح ، يحاول رفعه على
عرشه الذهبي مرة أخرى ، لكنه ينظر في ساعته الوقت
يتقدم منه يقبل جبينه ... يحيل كل الأشياء الجميلة إلى ركام
و تمضي الأيام برفق و احترام

الصورة الثانية / الشيخ مطيع

يعتدل وراء مقود السيارة ، و يحرك مفتاح سيارته الفارحة
، و تقفز إلى ذاكرته صورة الشيخ مطيع ، و المسجد الأيل
للسقوط ، رحل منه المصلون و سكنه طلاب الكتاتيب ،
يتذكر بابه الذي كلما تحرك تسمع منه سمفونية أو موسيقى
أشبه ما تكون بموسيقى الجاز ، مملوءة بالرعب و الخوف .
الأطفال يجلسون على جلود الحيوانات "الجاعد" ، و في
كثير من الأحيان على حصيرة قديمة ، لم تعد تنفع في أحد
البيوت ، فتصدقوا بها إلى كتاب القرية ، في أيام البرد
القارص تشعر و أنت تجلس طويلا بأن مؤخرتك و هي
تلتصق بشدة بالحصير البارد كأنها قد وقع عليها الحكم
خدر ... خدر شديد ... فلا تشعر بها ... بالبتر و القطع
أطول من الشيخ مطيع ، الذي كان يقف منتصبا تنظر إليه ،
من أخصص قدميه إلى قمة رأسه الذي يغطيه دائما بالحطة و

العقال ، حتى حرماننا من معرفة تضاريس رأسه هل هو هل له شعر ، ما لون شعره ، هذه أمور حرم ... اصلع علينا معرفتها ، له يد كأنها قطعة خشب طويلة ليس لها نهاية ، تزينها أصابع في طول أيدينا نحن الصغار ، تمنينا و لو مرة واحدة أن نمسك به مثل بسا بالابتسام ، حتى قلنا لبعضنا بأن، الله عذبه بأن لا يبتسم لأنه يكثر من ضرب الطلاب، و أقتعنا أنفسنا بذلك ، الشيخ مطيع معلم صارم ، شديد ، لا يرحم ، تغيب عنك كل الأشياء إلا ما يدرسه لك الشيخ مطيع ، تنسى كل الأشياء إلا ما طلب منك حفظه ، لا تستطيع أن تتساه ، ثمانية شهور و نحن نجلس نستمتع لدروس الشيخ مطيع الذي صنع منا طلاب علم ، لا يشق لهم غبار ، المدح و الثناء الذي كنت ألتقاه من أبي و ممن حولي شجع أخي الأصغر بالتفكير للذهاب إلى الكتاب و رؤية الشيخ مطيع و تلقي العلم ، أمسكت به من يديه و سرنا في أزقة القرية ، نحث الخطى نحو الكتاتيب و أخي في بداية الطريق في شوق للشيخ مطيع ، لرؤية العلم ، و كيف يدخل القلوب قبل العقول ، و كنا كلما اقتربنا من مكان الكتاتيب تزداد دقائق قلب أخي خوفاً ، وتصطك رجلاه ن ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، وأنا أسحب به ، وكأني أسحب به إلى جهنم ، ودبّ الخوف في قلبه ، أحاله إلى كومة من اللحم ترتجف ، ولكننا كنا قد قطعنا مسافة كبيرة ، ولا

نستطيع العودة الآن ، فدرس الشيخ مطيع أوشك أن يبدأ ،
وصلنا إلى باب الكتاب ورفضت قدما أخي الدخول ، وأخذ
أطل علينا وكأنه ... البكاء منه ما أخذ ووصل الشيخ مطيع
بل ... عزرائيل ، كان ما زال يصر على عدم الابتسام
والقوة ... التجهم يملأ وجهه ، سألنا بنبرة تملأها الصرامة
. وكل المفردات التي تدل على العنف والبأس ...
....والشدة

- لماذا يبكي؟؟؟

الابتسام لتخفيف وطأة السؤال ... أجبته وأنا أتصنع السرور
...

- خايف يا سيدنا من الدخول إلى الكتاب .

. لم تعد عنده كلمات يعبر بها ... لم يتكلم الشيخ مطيع
لهذا الطفل الخائف (تعطلت لغة الكلام) رفع يده التي
. ومن الأصابع الطويلة ... طالما أصابنا الرعب منها
. عاد أخي إلى الكتاب ولكن ... واستقرت على وجه أخي
بعد أن أصبح عمره تسع سنوات وعرض على أكثر من
طبيب نفسي ، وشعر انه قد شُفي قليلاً من كف الشيخ مطيع
.

ذاكرة الشوارع.... (انتظار)

ذاكرة الشوارع) (انتظار

مهداة إلى الذين يمارسون
هواية الأحلام لقتل فراغهم ...

ينظر إلى نفسه في المرأة للمرة العاشرة ، يعيد ترتيب شعره
من جديد ، يتفقد هندامه بعناية فائقة، يختلس نظرة إلى
حذاءه ، يبتسم راضيا عن نفسه ، يغلق الباب خلفه ويخرج .

يتفقد شارع الطويل ، هو .. هو هذا الشارع لم يتغير ،
للشوارع ذاكرة يصعب محوها ، يرسل نظراته إلى كل
مكان وهو ما زال يسير ببطء شديد ، يجد متعة وهو يطيل
النظر إلى أبواب المحال التجارية المبعثرة على جانبي
الطريق، لقد حفظ تضاريس هذا الشارع عن ظهر قلب ،
أحيانا يغمض عينيه ويسير ، يسير مئات الأمتار ثم يقف
فجأة ليحدد مكانه ، لعبة يسلي به نفسه . يصل إلى مكانه
الذي اعتاد الوقوف فيه ، في هذا المكان تسافر به الأحلام

والآمال إلى ما لا نهاية ، يقطف ثمار ذاكرته ، واحدة تلو الأخرى ، يمزق ما سقط من أيام عمره ، ثم يبدأ رحلة التفكير بها ، يتخيل قوامها، لون عينيها ، ابتسامتها ، ثوبها ، لون شعرها ، طريقة كلامها ، ، وكثيرا ما يحدثها قبل أن تأتي ، يعاتبها على تأخرها ، يغضب ، يشيح بوجهه عنها ، تسترضيه ، تبتسم له ، يداعب كلامها أوتار قلبه ، يبتسم ثم يعتذر منها .

ماذا سيمنعها من المجيء ، لقد أكدت له هذه المرة بأنها قادمة لن يمنعها أحد أو سبب، سيكون لقاءً حاراً ، سيهمسُ في أذنيها بكل كلام الحب الذي يعرفه ، سيجعل من نفسه شاعرا ، ومن قال أن الشعراء هم من يستطيعون الحب فقط .

الشمس تزحف نحو المغيب، وتخلف وراءها الهموم والأحزان، والليل يجر أذيال الخيبة على من هم مثلي ، يصفعني في كل مرة وارفض إعلان توبتي ، ليلي ليس كليل العاشقين ، ليلي أسود حالك ، ليس فيه بارقة أمل .

لقد طال انتظاري ، وكأنها لن تأتي ، لقد تأخرت ، الأيام تهرب منا ، تبتلع كل أحلامنا ، تحيلنا إلى ذكريات بالية .

أقفلت المحلات أبوابها ، عاد المتعبون إلى فراشهم
وزوجاتهم باتت الطيور في أعشاشها ، واختبأت السماء
خلف النجوم ، ولكنها لم تأت ، فهو ينتظرها في هذا المكان
منذ أكثر من عشرين عاما .

انتهت

أصابع "عبد الستار"

أصابع "عبد الستار"

فوجئ "عبد الستار" وهو يستيقظ من نومه بثقل وانتفاخ في رؤوس أصابع يديه ، قلب يديه والدهشة تملأ وجهه بعلامات التعجب والسؤال، نهض من فراشه مفزوعا وسار باتجاه المرأة ، حدّق فيها جيدا ، لا يبدو عليه المرض ، عاد يحدّق في أطراف أصابعه من جديد ، الانتفاخ واضح وهناك احمرار شديد ، توجه نحو المغسلة ، وضع يديه تحت الماء البارد ، وترك الماء ينساب عليها....يدغدغها ، يرفع رأسه عاليا...عاليا...وعيناه تبهلقان في سقف الحمام وكأنه يعيش في قمة هرم اللذة ، يشعر بارتياح ولو بسيط .

__ ما الذي أصاب أصابعه ؟؟؟

نادى زوجته وهو ما زال يضع يديه تحت الماء ، تراجعت زوجته وهي ترى أصابع زوجها وكأنها حبات بلح كبيرة حمراء صفعتها الدهشة فلم تستطع الكلام ، جرّ قدميه باتجاه غرفته وهو يجتهد بأن لا تلامس يداه جسده ، فأى احتكاك ولو بسيط كان يشعره بألم شديد ، جلس على سريره

بسط يديه أمامه وراح يتأملها بألم شديد ، وخياله يسوقه إلى صور شتى ، فتراه مرة يضحك ، وأخرى يبكي ، ويرتفع صوته ، يصرخ ... يصرخ... يتعالى صوته فيرفع يديه ليسد بها فمه ، ثم ما يلبث أن يتراجع عندما يسبق الألم وصول يديه لفمه ، يكتم غيظه ، وتفر الدموع من عينيه .

تتقلب أمامه صور المكفوفين وهم يتلمسون أوراقهم بأصابعهم ويقروءون ، يندب حظه وهو يتأمل عالم اليوم ، وكيف أن هذا العالم كله مرهون بضغطة زر واحدة ، هذه الضغطة بطلها أحد الأصابع ، وينظر لأصابعه .

2

"عبد الستار" لم يكن في يوم من الأيام لصا أو قاطع طريق ، بل أمضى جلّ عمره وهو يدرس الأطفال، يهذبهم ، يعلمهم الحكمة والأخلاق الحميدة ، أصابع "عبد الستار" على درجة كبيرة من النبل والعطاء ، لا أحد يعرف "عبد الستار" وينكر فضل أصابعه وهي ملوثة بالطباشير ، تدون ما تتناثر من الأدب والحكمة للأجيال، ورم أصابعه الشديد الذي يزداد لحظة بعد أخرى جعله يبدو كطفل رضيع ، يحاول مص أصابعه ولكنه لا يستطيع ، فهو ما زال يلتمس

البرودة ، يبحث عنها ، تحت صنابير المياه ، في الثلجة ،
في مكعبات ثلج صغيرة ، يلفها بقماش حول أصابعه ويديه .

يرتجف " عبد الستار " خوفا وألما ، والناس يتجمعون
حوله، يحملونه إلى أقرب مستشفى ، وأصابعه ما زالت
تزداد ورما وانتفاخا ، ويحس " عبد الستار " وكأن أسرابا
من النمل تتجول في داخلها ، تكاد تخرج في أية لحظة ،
يتمنى لو أن أحدهم يحضر له ساطورا وخشبة جزار ليقطع
هذه الأصابع كما كان يفعل المطلوب للتجنيد الإجباري منذ
قديم الزمان .

3

صور الأصابع في شتى أوضاعها لا تفارق خياله ، أصبح
يحصيها ، ويتأملها بعمق شديد ، وأصبحت تعني له ما لا
تعني لغيره من الناس ، فهذه صورة الرجل الذي يجالس
من يحب في المسلسلات والأفلام العربية ، وما يحدث من
تناسي الأصابع كي تتسلل وتسبح لتلامس بعضها بعضا
....مسكين " عبد الستار " ، لم يعد بإمكانه طرح أصابعه
بشكل يبدو عفويا أمام من يقابل من الجميلاتبل لم يعد

بإمكانه تقليب صفحات كتاب ما أو الضغط على أزرار
الريموت كنترول للبحث عن قنوات جديدة وأخبار مثيرة .

4

على باب غرفة الطبيب في قسم الطوارئ جلس "عبد
الستار" ينتظر الإذن بالدخول ، وقد وضع كفيه على ركبتيه
واسند ظهره ، وراح نظره في خط مستقيم ، وكأنه يرصد
شيئا ما ، يصغي لمن حوله من المنتظرين ، ينظر لأحد
الجالسين بجواره وهو يحرك فقط عينيه ، فيراه يشبك ما
بين أصابعه ثم يجذب أصابعه بكل قوة في حركة عكسية ،
فيسمع فرقعة عالية ، فيرتجف قلبه وتنهار قواه .

الذي زاد من قلق "عبد الستار" هذه الحركة التي يحسها ما
بين الفينة ولأخرى في رؤوس أصابعه المنتفخة ، وكأن
شيئا ما بداخلها .

تخرج السكرتيرة وتنادي اسمه للدخول على الطبيب ،
فيحاول رفع إصبعه بسرعة ، فيفشل ويسمع كل من حوله
آهته تخرج من صدر كثرت به الجراح . يتقدم بخطى ثقيلة

من باب العيادة ، يدخل على الطبيب ، وقبل أن يكلمه أو يسأله يرفع "عبد الستار" يديه أمام الطبيب ، ينظر الطبيب إليها ، يتمعن بها جيدا ثم يصفر صفرة طويلة ، فتنهار جدران الأمل التي بناها "عبد الستار" قبل دخوله هذا ويتلعثم وهو يسأل الطبيب :

__ ماذا عن أصابعي ... لماذا يبدو عليك الانزعاج يا سيدي ؟؟

يبتسم الطبيب ثم يضحك ... يضحك بصوت عالٍ ، ويدبر ظهره لمريضه ، وكأنه لم ير شيئا ، ثم ينحني على مكتبه وكأنه يكتب شيئا ، يرفع رأسه مواجه المريض الذي ما زال يرفع يديه خوفا من أن تلامس شيئا فيزداد ألمه ثم يسمع الطبيب وهو يقول له :

__ أنت الحالة رقم سبعة كلهم كانوا يتألمون مثلك ويصرخون ... ثم سكت ألمهم فجأة . أصابعك يا أستاذ حبلى حامل .

ويضحك "عبد الستار" بعد سماعه لعبارة الطبيب الأخيرة ، يضحك ... يضحك ... حتى يسقط أرضا .

قصص قصيرة جداً

(1) تثاؤب:

جلس على سريره ، تثاءب...تثاءب...، مدّ ذراعيه
كأخطبوط مريض، قلب قنوات تلفازه بحثاً عن مشهدٍ
مثير ، دحّن علبة سجائره حتى آخرها ، عبثت يداه بكل
الجرائد اليومية التي أمامه ، ثم استلقى على سريره
وراح يتثاءب من جديد .

(2) فراغ:

ترصدني عيناك وأنا أقبع وراء ظلي المتآكل ، وحيداً
أجتر ما تبقى من حكايتي، بكلمات تزحف من رئة خربة ،
قد تلهب قلبك شوقاً ، ولكن لن تغيره، أقضم الحروف ،
ألوکها ، لتصل إلى قلبك ناعمة طرية .

وحيداً أجتر عزلتي ، انحني لألتقط حصاةً أرمي بها ظلي
المشوّه ، أو سيفاً أقطع به المرّ من أيامي ، أو رمحاً أثقبُ
به سماء كآبتي .

ولكن في كل مرة لا أجدُ إلا فراغاً .

(3) أحلام ممنوعة:

أعصر جرأتي ، أمتص ما تبقى من أمل من أوان فارغة
، أسافر بحثاً عن ليل سقطت نجومه في بئر عميقة،

أندثر ببرد الأيام المرة ، تصطك أسناني وتذوب
فرائصي . أعلم أنني ما زلت ألوث دمك، وأسكن في
وريدك المتكبر ، ولكن لا بد من المسير .

نمتطي قطار صمتنا ، تقرب يدك الحانية ، تنفض عن
صدري غبار وتعب الأيام، وتذكرني بوجودك قربي.

أحزاني قطع من غيم متناثر ، تسافر..تسافر... ثم
تهطل في قلب جديد .

كانت عيناى ترصد صوت الألم المتكون في عينيك ،
وتسافر مبحرة في مجهول كنهك، تسبر أغوار زوايا
عشقك الدفين وتتمنى .

ما أسعد القلب الذي يجد من يعتني به .

تستفيق الأحاسيس من غفلتها وشرودها ، تتعلق بساعة
معلقة بخيط بال ، عقاربها تشير إلى اليأس والملل .

حبال قلق تطوق عنقي ، فأشعر بالاختناق ، وأحس
بالعجز ... أصرخ ، واستيقظ من حلم لا نهاية له .

آه كم انتظرت رذك ، وصدقت مقولتك وأنت تضغطين
على الحروف لتخرج من مخارجها الصحيحة .(الأيام
كفيلة بنا ، لن تتخلى عنا) .

ولكن أرها تدوسنا بأحذية ضخمة ، تسفّه أتفه الأحلام ،
ومن قال لك إن من حقنا أن نحلم ...لا ...لا ... عليك أن
تستيقظي قبل أن نتورط في حلم ممنوع .

أو انتظري الريح والأمطارانتظري قطارا يأتي من
الجنوب ، ففي الجنوب تختبئ الحكايات.

(4) لوحات ليست للبيع:

عاد إلى بيته متأخرا ، متعبا ، نظر في زوايا غرفته
الميتة ، حيث لا أولاد له يريح جثته عليهم ، ولا زوجة
يثقل كاهلها بطلبات سخيّة .

رمى بجسده المنهك على المقعد ، تناول بأنامله رواية
الطاعون (للبير كامبي) قلب صفحاتها تمنى أن يعود
الطاعون والفئران مرة أخرى ، وتمنى أن تكون كبيرة
بعض الشيء حتى تستطيع أن تأكل وتلتهم الفئران التي
صادفها في طريق عودته . مدّ يده إلى جيبه ، أخرج
مذكرة غصّت بهواتف النساء ... مع من يتكلم ، شبع من
ثرثرة النساء ، بماذا يقطع وقته إذن .

عاد ينظر إلى رواية (البير كامبي) وضع عليها ورقة بيضاء ، وبقلم رصاص ، رسم جرة ثقبها كثيرة ، يتسرب الماء منها . رسم أسدا ضخما فمه مفتوح ، وطفلا صغير يلهو ويقلع أنيابه .

رسم حمارا يوضح فكرة ، وكلبا يأكل شاة ، وفأرا يطارد فيلا ، ثم كتب في أعلى الصفحة ، لوحات ليست للبيع .

(5) طائر:

زعموا أن طائرا كان قد اعتاد الوقوف على نافذة فتاة جميلة ، وكانت قد اعتادت أن تلقي له الحبّ وتصبّ تحت قدميه الماء . فيأكل كل ما شاء ، وما لذ وطاب ، ويشرب ما أراد ، ثم يغني لها أجمل أغاني الحبّ والحنان والوفاء .

وفي يوم جاء الطائر متعبا من يوم أكثر فيه من الطيران والتجوال ، وأتجه صوب نافذة فتاته ، حيث يجد الراحة والحنان والأمان ، فوجد طائرا قد يبدو للوهلة الأولى أجمل منه قليلا ، قد أخذ مكانه ، فدار ... وطار ... وحوّم ... ، من اليمين إلى اليسار...، ومن اليسار إلى اليمين ، ومن أسفل إلى أعلى ، عسى أن تراه فتاته التي انشغلت عنه بطائر جديد ، وكان التعب قد أخذ منه ما أخذ ، ولم

يلتفت إليه أحد ، فعلم في قرارة نفسه أنه أصبح لا شيء ، وإن عدم وجوده أفضل من بقائه ، فسقطت النافذة بلا حراك .

وبعد أيام نزلت الفتاة من نافذتها العالية ، فوجدت تحتها طائرا ميتا يحاكي لون طائرها ، فاختلط عليها الأمر فهو طائرها المدلل أم ولكنها طمأنت نفسها بأن طائرها ما زال يقف في نافذتها يعني لها ، فصعدت وهي تمنّي نفسها بوجود طائرها ، ولكنها وجدت خالية ، فعلمت بأنها أضاعت طائرها إلى الأبد بانشغالها بطائر جديد .

(6) كلب

كنت أعطي في نوم عميق ، عندما أيقظتني زوجتي لأطرد كلبا ، رفض التوقف عن النباح . في البداية حسبت الأمر سهلا ولا يحتاج إلى عناء كبير ، نهضت من فراشي أجرّ قدمي المتعبتين إلى النافذة ، فتحت النافذة ورحت أردد أصواتا وكلمات تهابها وتمثل لها مثل هذه الحيوانات ، ولكن هذا لم يجد .

فأدركت أنه لا بد من فتح الباب والخروج ثم الوقوف وجها لوجه أمام هذا الكلب العنيد ، فحملت على سبيل الاحتياط عصا كنت أحتفظ بها للوصول إلى نسيج

العناكب في زوايا البيت المختلفة . لوحت بالعصا لهذا الكلب مرات..... و مرات ، ولكنه بقي واقفا متحديا ينبج بأعلى صوته ... حاولت أن أخيفه بضرب قدمي بالأرض وتحريك رأسي ، ولكنه لم يأبه بذلك ، عدت أجر أذبال هزيمتي أمام هذا الكلب .

سألنتي زوجتي عن سبب عجزني لطرد هذا الكلب ، فقلت لها :

هناك كلاب لا نستطيع طردها . وأضفت ، ليست كل الكلاب نستطيع طردها بهذه الطرق البدائية .

ظل الكلب ينبج حتى أيقظ أصغر أطفالي ، لم يكن خائفا كباقي الأطفال ، بل رأيته ينسل من تحت الغطاء بهدوء ويفتح النافذة ثم يبصق بعد أن استجمع قواه في فمه ولسانه ، فتستقر بصقة كبيرةكبيرة ما بين عيني الكلبثم رأيته يقفل النافذة بهدوء شديد ويعود إلى فراشه دون أن يتكلم شيئا ، أرهفت السمع ، كان الكلب قد توقف عن النباح.

الاسم : محمد رمضان الجبور (الصورباهري)
(

مواليد: 1959/7/17

مكان الولادة /عمان

العمل الحالي: .متقاعد

العمل سابقا: معلم ، مساعد مدير ، مدير مدرسة لأكثر من
خمس عشرة عاما، مدير عام في المدارس الخاصة لمدة
ثلاث سنوات

التحصيل العلمي: بكالوريوس لغة عربية الجامعة الأردنية
1997.

دبلوم عالي إدارة مدرسية /الجامعة
الهاشمية 2003

.الهوية الأدبية : قاص وشاعر

.عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

عضو في رابطة المبدعين العرب

عضو في جمعية صالون الرصيفة الثقافي

: الإصدارات الأدبية

.

(

جدار الوهم) (مجموعة قصصية

.

(

أبواب للدخول فقط) (مجموعة قصصية

.

(

تعيش أنت) (مجموعة قصصية

(أحلام ممنوعة) (مجموعة قصصية) *

(حين تمرين في خاطري) (ديوان شعر) *

قراءات في عالم مصطفى القرنة الروائي) (كتاب في) *
(النقد الأدبي

: الأعمال الإذاعية

.

(

برنامج منوع (دندنات كلمة من تقديم الأستاذ خلدون
الكردي، والأستاذة سمراء عبد المجيد

.

(

من القرآن والسيرة) مسلسل تاريخي ديني، عن حياة
الرسول صلى الله عليه وسلم قبل المولد

:الأعمال التلفزيونية

.

(

بساط الريح (برنامج للأطفال في ثلاثين حلقة

.
(
الغاز وأمثال من التراث). (برنامج مسابقات في ثلاثين حلقة

.
إعمال منشورة على الشبكة العنكبوتية...تارة باسم محمد
. رمضان الصورباھري وتارة باسم محمد رمضان الجبور

.
أعمالي أيضا منشورة في مجلة صوت الجيل الصادرة عن
وزارة الثقافة الأردنية

.
مجلة أفكار الأردنية

.
جريدة الرأي الأردنية

.
جريدة الدستور الأردنية

.
وغيرها من الصحف

.
هاتف /0796131904

